# درة العمارة الإسلامية

لاريب أن جوامع القاهرة ومساجدها أغرب ماجادت به قريحة بنى العالم الاسلامى من الأبنية وأكثرها فى أنحاء الشرق عموما كما أنه لامشاحة فى أن مدينة القاهرة هى أم الجوامع فإن الإنسان يكاد لايخطو خطوة دون أن يرى جامعا أو مسجدا لو جمعت كلها لكفت لتكوين مدينة قائمة بذاتها.

ومن أعظم مساجد القاهرة فى الدلالة على العظم وحرمه الشعائر الدينية واعظم ما شيده البناءون المصريون هو مسجد السلطان حسن اذ لا يتأمله المتأمل ولو عن بعد الا وترتسم في نظره تلك الأضلاع المستقيمة الراسخة والمآذن الشامخة والأبعاد المتناسبة كأنه كتلة عظيمة من الحجر في شكل المعابد القديمة والقلاع الحصينة والحصون المنيعة جعلته مختالا بإشرافه وفضله على الكل يستوقف النظر بشامخ بنيانه ثم يستوجب التأمل لدقائقه لأن جميع ماانطوت عليه فنون التصوير الشرقية قد جمعت فيه.

ولقد ابتكر المصور الشرقي في هذا الشكل الكبير زخارف دقيقة من كتابات ودلايات ونقوش وفسيفساء وقطع مطعمة ومكفتة ومموهة مما جعله آية فى الحسن والجمال والبهاء الحقيقى وجمع فيه كل مايمكن أن يأتى به هذا الفن الخاص الذى يقال له الفن العربى.

فلنتعرف معا على هذا الصرح العظيم والمسجد الكبير ومن صاحبه فقد سمى هذا البناء العظيم على اسم صاحبه السلطان حسن.

## فمن هو السلطان حسن؟

### السلطان حسن

هو السلطان الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون،ولد فى سنة ٧٣٥هجريا ،جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة سنة ٧٤٨هجريا بعد أخيه الملك المظفر ،وكان السلطان حسن مفرط الذكاء عاقلا وفيه رفق بالرعاية متدينا شهما ،وقد أمر السلطان حسن فى عهده ببناء المسجد وقد قيل

أنه لما أمر ببناء المسـجد طلب من جميـع المهندسـين من أقـاطير الأرض وأمرهم ببناء مدرسة يكون ليس عمر أعلى منها على وجه الارض.

## مدرسة السلطان حسن

تعد من أهم عمائر السلطان حسن ،التى لم يبن فى الإسلام نظيرها ولاحكاها معمار فى حسن عملها .

ابتدأ السلطان فى عمارة مدرسته سنة٧٥٧هجريا واستمر العمل بها ثلاث سنوات بدون انقطاع وقال عنه المقريزى أن هذا الجامع به عجائب من البنيان منها أن ذراع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ،ويقال أنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن فى العراق. ومنها القبة العظيمة التى لامثيل لها فى البلاد الإسلامية ومنها المنبر الرخام الذى لانظير له .ومنها البوابة العظيمة والمدارس الأربع بدور قاعة الجامع.

إذا كان لمصر الفرعونية أن تفخر بأهراماتها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجبا بمدرسة السلطان الذى لايضاهيها أى أثر إسلامى آخر ،فقد حوت كل غريب وجديد وفريد كما تمثلت فيها كل مقومات المدرسة الإسلامية من الناحية الدينية والمعمارية على السواء .

تقع هذه المدرسة فى نهاية شارع القلعة فى مواجهة جامع الرفاعى ،كما تطل واجهتها الشرقية على ميدان صلاح الدين .

وتشغل المدرسة مساحة كبيرة من الأرض فهى مايقرب من فدانين ،إذ تبلغ مساحتها ٧٩٠٦أمتار مربعة.وهى على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع،وهى خالية من جميع الجهات ولذلك فهى تحتوى على أربع واجهات.

بنى السلطان هذا البناء العظيم ويحتوى على مدرسة ومسجد وصرف عليه الكثير ومات السلطان قبل أن يكتمل البناء .




## وصف المسجد

تبلغ مساحة المسجد٧٩٠٦مترا مربعا ،وأقصى طول له مائة وخمسون مترا،وأقصى عرض له ثمانية وستون مترا وارتفاعه عند بابه ٣٧,٧مترا وبضلعيه الشمالى والجنوب إزورار بسيط ،وعلى جوانب صحن الجامع أربع إيوانات معدة لإقامة الشعائر الدينية .

وهو ذات واجهات أربع مشيدة بالحجر الجيرى ، .أهمها الواجهة الشمالية التى يبلغ طولها مائة وخمسة وأربعون مترا،يتوج أعلاها شراريف على هيئة أوراق نباتية ثلاثية الشحنات ويبلغ طول الواجهة الشرقية ثمانية وستين مترا،اما الواجهة الجنوبية فيبلغ طولها مائة وخمسون مترا.وفى كل زاوية من زواياه باب يوصل إلى أحد المدارس الأربع التى شيدها منشئ الجامع ليدرس فى كل مدرسة منها مذهب من المذاهب الأربعة (المذهب الشافعى -المالكى -الحنبلى -الحنفى).

وإيوانه الشرقى من أكبر الإيوانات سقفه معقود عقدا ستينيا فوق نصف الدائرة وهو أكبر عقد بنى على إيوان فى مصر .والثلاثة إيوانات الأخرى سقف كل واحد منها على شكل نصف أسطوانة من الحجر ،ومساحتها متقاربة،وفى وسط الإيوان الشرقى محراب جميل ،وعلى يمينه منبر من الرخام الأبيض،وبجانبى القبلة التى فى الواجهة الشرقية بابان يوصلان إلى القبة العظيمة ومساحتها ٧٥١مترا مربعا، وارتفاع جدرانها ٣٠,٢٠ مترا إلى

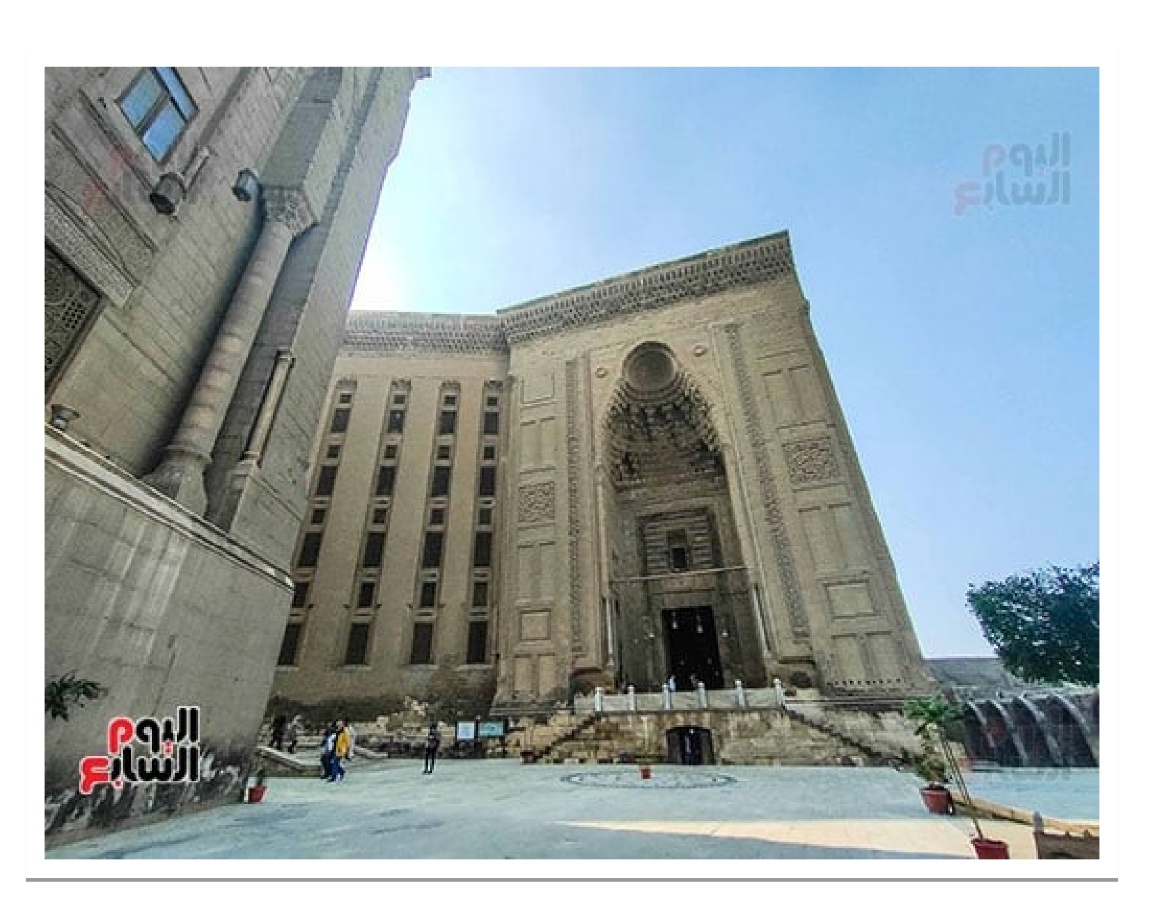
مبدأ القبة الـتى تبلـغ وزرتهـا ٤٨مترا وبالجـانب القبلى الشـرقى المناراتـان العظيمتان التى يبلغ ارتفاع كبراهما ٨١,٦٠مترا .

على هذا نـرى أن الجـامع تحفـة معماريـة من التـاريخ مـازال شـاهدا على عظمته وروعته وقوة بنيانه وعبقرية مصمميه فالمسجد وبما فيه روعة من روائع الحضارة الإسلامية بمئذنته العالية الشامخة فهى كالمنارة فى البحــر ترشد التائهين لطريـق السـلامة فمئذنتـه كـذلك ترشـد كـل من يبحث عن تاريخ حضارته متعطشا للشراب من بحر الحضارة الإسلامية العظيمة تقف مئذنته العظيمة كالجندى الـذى يحـرس بلاده بغـير كلـل أو جهـد أو تعب أو كالجندى الذى يمسك بعلم بلاده مرفرفا فى سماء مصر العظيمة .

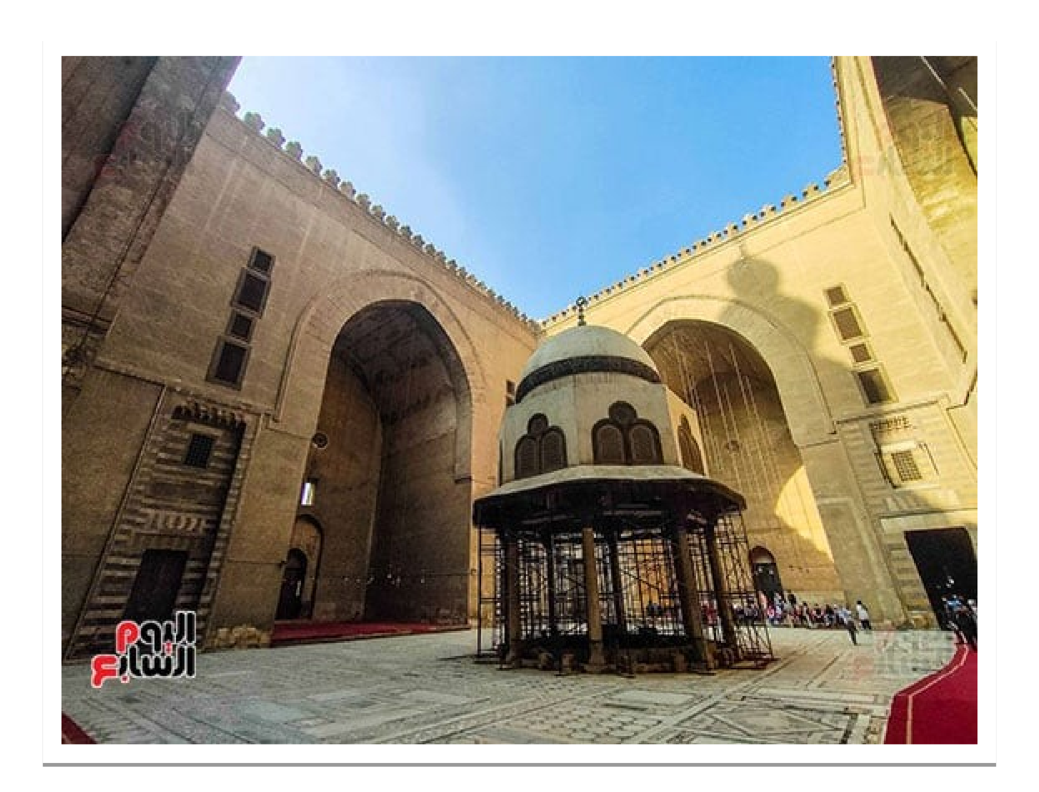
كمــا نــرى واجهــة المســجد وماتمتــاز بــه فن هندســى وروعــة معماريــة بديعة ،فجدرانه العالية الشاهقة الثابتة كالجبال مهما مــر بهــا فهى صــامدة صامتة عنـدما ينظـر إليهـا النـاظر فكأنـه يـرى قلعـة أو حصـن مـنيع تحمى مابداخلها تحتوى على أربع طوابق كل طابق يفتح فيـه صـفان من النوافـذ صف نوافذه مستطيلة والصف الثانى صغير مربع الشـكل تحفـة معماريـة رائعة تحكى عن جمالها وبراعة مصمميها .



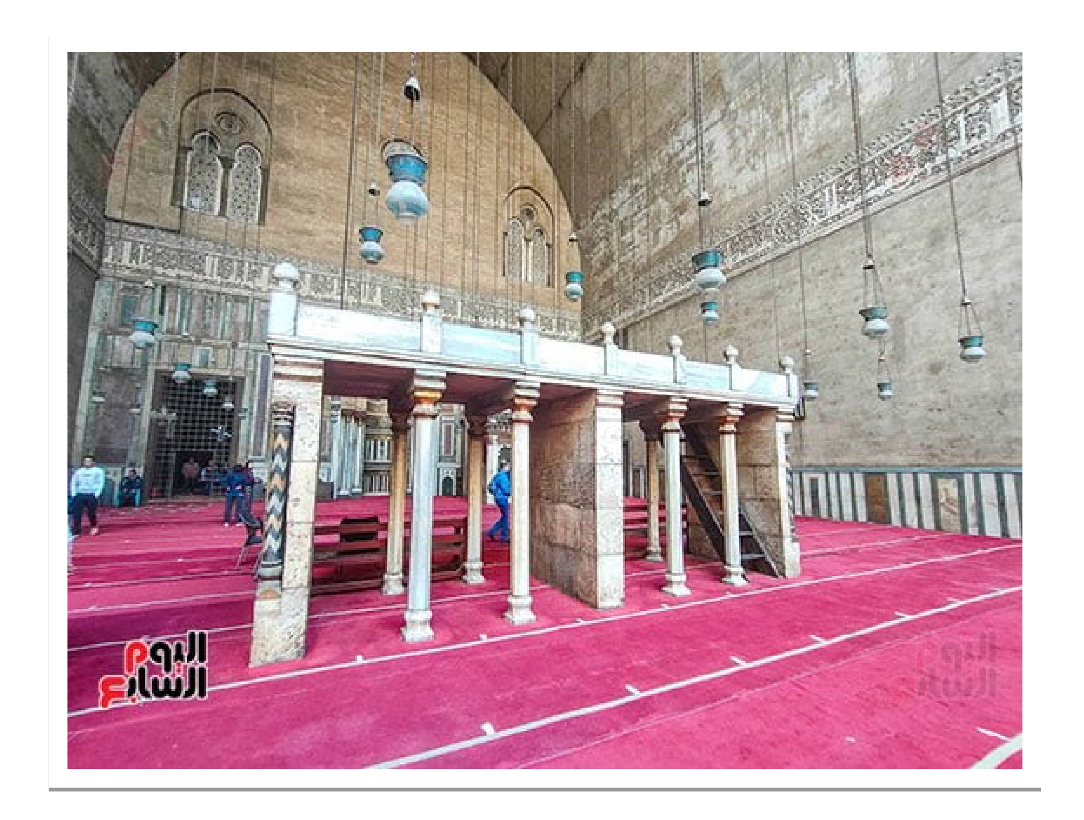
ويوجـــد المـــدخل الرئيســـى للمدرســـة فى الطـــرف الغـــربى للواجهـــة الشمالية ،وينقسم إلى ثلاثة أقسام الأوسط منها وهو الذى يوجد فيه فتحة الباب إذ يبلغ اتساعه ١٢مترا،أما الجانبـان فيبلـغ اتسـاع كـل قسـم ٧أمتـار تقريبـا وقـد زخـرفت هـذه الأقسـام الجانبيـة المـدخل الرئيسـى بزخـارف منقوشة فى الحجر على شكل مربعـات ومسـتطيلات فى تـرتيب هندسـى جميل، أما فتحة باب المدخل فتوجد فى تجويف عميق تعلوه طاقيـة تنتهى بنصف كرة وملئت منطقـة الانتقـال من المربـع إلى الـدائرة بصـفوف من الدلايات. كأنها قناديل تضئ للزائر وعددها عشرون صفا.وقـد جمعت بعض هذه الصفوف على هيئة مثلثات مما أكسبها منظرا جميلا خلابـا لامثيـل لـه فى الواجهات المصرية فبدايـة من أول دخولـك للمكـان كأنـك داخـل إلى قصر لأحد الملوك .



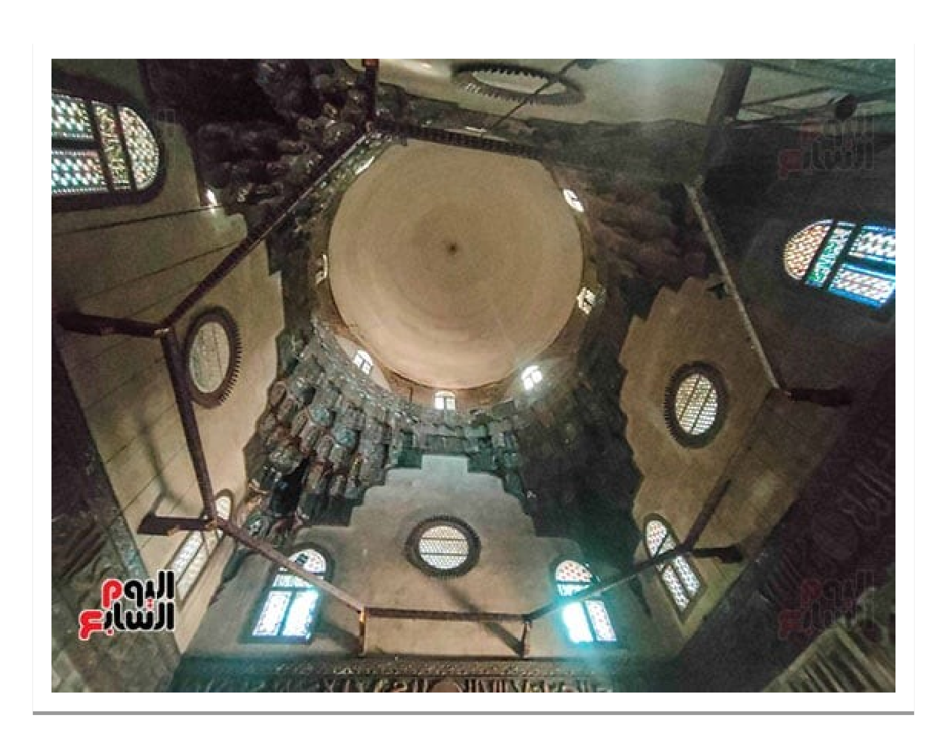
عندما تدخل المسجد وتصل إلى صحن المسجد فهو يحيط به من الجهـات الأربعة إيوانات المدرسة تنظر فترى كأن هـذا الصـحن منبـع للميـاه يصـب فى روافده الأربعة فهذا الصحن يجمـع اربـع إيوانـات يؤخـذ منهـا من بحـار العلم ،كمـا سـتجد زخرفـة وكتابـات بالخـط الكـوفي نقشـت على صـحون الإيوانات.



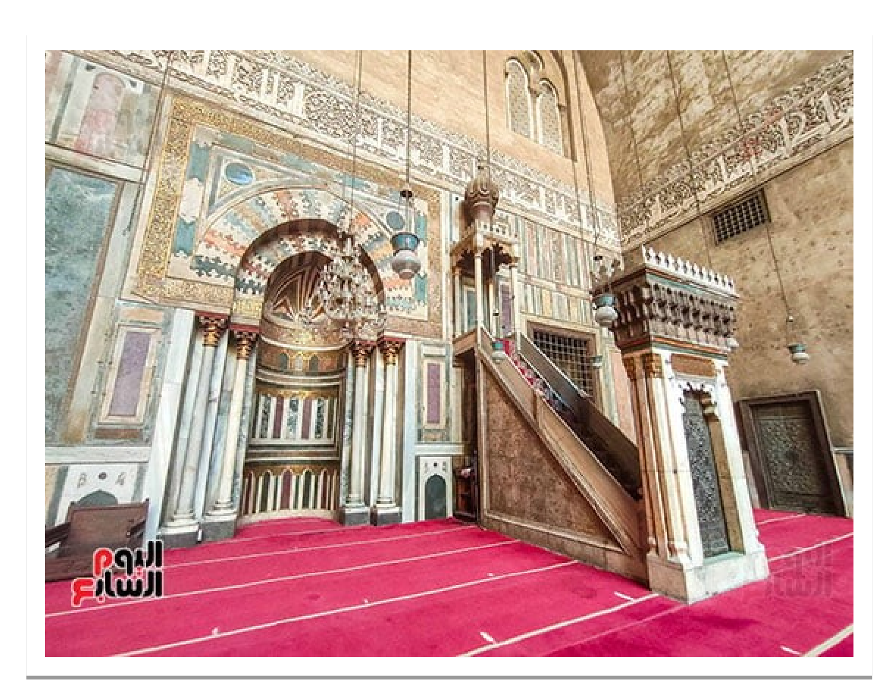

عندما تدخل المسجد ويقابلك هذا المنظر البديع فكأنك ترى قناديـل تضـئ للمضل فى طريقه فترشده فهذه الدلايات بألوانها البديعـة الجميلـة عنـدما تنظر إليها من فوق كأنك ترى شلالا.




قبة المسجد عندما تنظر إليها كأنك تنظر إلى شئ يحتضنك ويخبئك بداخله ،وعندما ترى الإبداع الهندسى بها ومساحتها ٧٥١مترا حتى عندما تنظر إلى النوافذ وأولوانها وزخرفتها البديعة وطريقة تصميمها الرائعة ترى أنك أمـام إبداع هندسى رائع لامثيل له ،مهما تحدثت لن أسـتطيع وصـفه إلا إذا زرتـه بنفسك وشاهدت بنفسك روعة وجمال هذا المكان وعظمته اللامتناهية.

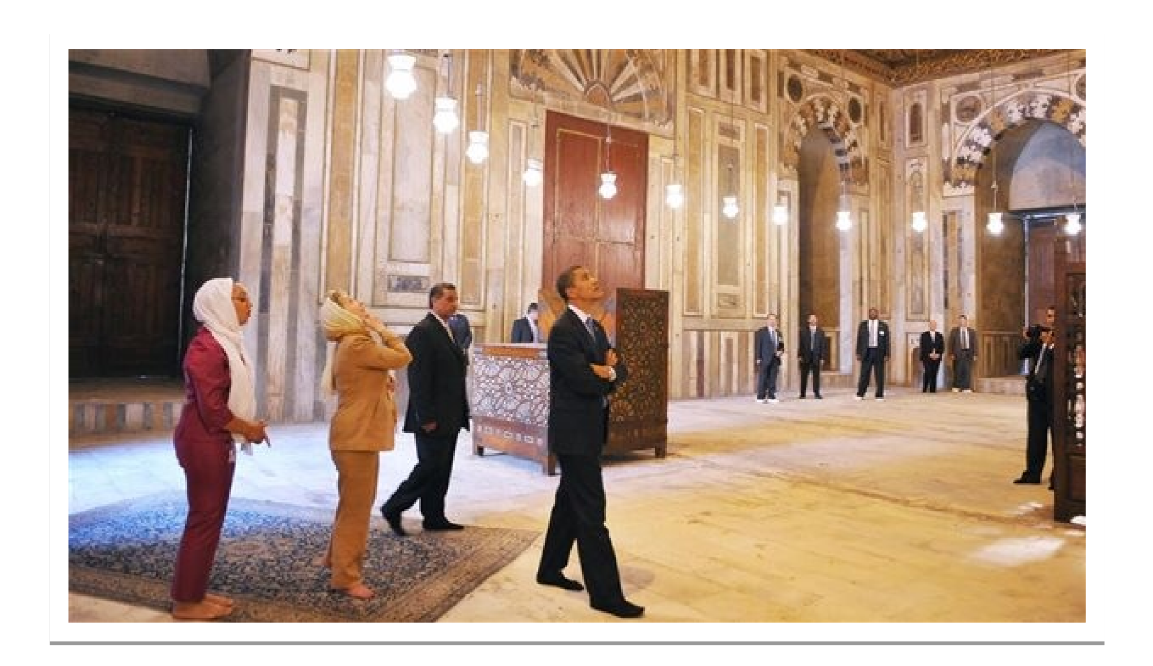


لقد جمع هذا المسجد بين كل فنـون الحضـارة الإسـلامية والفن الإسـلامى العظيم متجسدا فى هذا البناء العظيم فهـو كأنـه صـرح ممـرد من قـوارير مبنى كأنه بنيان مرصوص ،فعنـدما تـراه تحس كأنـه قلعـة وحصـن وقصـر ومدرسة وجامع فقد جمع ببناءه وزخرفته من كـل الفنـون المعماريـة فهـو كأنـه تحفـة فنيـة معماريـة لامثيـل لهـا من قبـل .فقـد بـنى على الطـراز المملوكة وطراز التعامد فأصبح تحفة معمارية لامثيل لها فى الشرق.




## زيارة الرئيس الأمريكي للمسجد

لقد زار الـرئيس الأمـريكى السـابق أوبامـا وزوجتـه هـذا المسـجد العـتيق العريق فى عام ٢٠٠٩وظل فيه لمدة ٣٩دقيقة وكان هذا أكثر من البرنـامج المعتاد للزيارة لـدى الـرئيس فقـد أعجب بجمـال المسـجد ومـا يتمـيز بـه المسجد وانفراده عن الباقي بمميزات جعلته هو الأفضل بلا منازع.



**قالوا عن المسجد:**

وصــفه المقريــزى بقولــه:"فلايعــرف فى بلاد الاســلام معبــد من معابــد المسلمين يحاكة هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها"

وذكر المؤرخ ابن تغرد. بردى"أن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا وهى أحسن بناء فى الإسلام "

كما روى المؤرخ ابن شاهين الظـاهرة أنـه"ليس لهـا نظـير فى الـدنيا ولم يعمر أعلى منها وهى عجيبة من عجائب الدنيا "

قال عنه السلطان سليم الأول "هذا حصار عظيم "

وصفه المارثيلانى الرحالة المغربى"أنه مسجد لاثـانى لـه فى مصــرولافى غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته وارتفاعه وإحكامه ،واتساع حنايـاه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح فى أيـام الشـتاء بأبوابـه كمـا تفعل فى شواهق الجبال"

ومهما قلنا عنه فهو قليل فالمسجد بمئذنته وقبته كأنه حصن مـنيع يشـرف على القاهرة بأكملها فهـو لكأنـه لوحـة فنيـة رائعـة مكتملـة كـل مقوماتهـا الفنية .

**قام بكتابة هذا العمل**

**الطالبة / نورهان احمد محمود احمد**

**طالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة**

# المصادر

- **كتاب العمارة الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر المملوكي للدكتور أحمد عبدالرازق أحمد**
- **كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الثالث للدكتورة سعاد ماهر محمد**
- **كتاب جامع السلطان حسن تأليف مكس هرتس بك**
- **الصور من موقع اليوم السابع والدستور**